العمل الخيري في آسيا الوسطى
دراسة استشرافية
(دراسة تطبيقية على دول:
كازاخستان – قرقستان ـ طاجكستان)

إعـــداد

علاء الدين جار النبي موسى البدري

بحثٌ مقدَّمٌ إلى

« مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث »

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعـــــد:

التعريف بموضوع البحث ومكوناته

يعتبر العمل الخيرى في آسيا الوسطى من الأهمية بمكان ، لما له من تأثير كبير على هذه المنطقة ، ولقد ساهمت المؤسسات العربية الخليجية ، في الكثير من الجوانب المهمة وحققت العديد من المكتسبات ، وبإلقاء نظرة تاريخية على تاريخ العمل الخيرى في المنطقة يتضح أن وجوده قديم وقد ظهر بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وتفككه ، حيث برزت دول الجمهوريات الإسلامية المستقلة منه ، وعند ظهور هذه الدول وجدت إقبالاً كبيراً جدا من مؤسسات العمل الخيرى ، وتدافعت الكثير من المؤسسات العربية الخليجية لتقديم الخدمات الخيرية بمختلف أنواعها، ولعلنا نشير إلى أننا قد بحثنا ميدانيا للوقوف على حال المؤسسات العاملة لنقف على الأوضاع وتقييم الأمور نسبة لانعدام الدراسات للعمل الخيرى في هذا الموضوع ، وكذلك قلة المعلومات والبيانات المتاحة ، ولكننا بذلنا غاية جهدنا في كتابة هذا البحث حتى نلقى بعض الإسهامات التي تخدم العمل الخيرى عموما وخاصة في آسيا الوسطى .

أما التعريف بمنطقة آسيا الوسطى فهى من المناطق الاستراتيجية في العالم ، ولها أهمية كبيرة جدا ، وتلقى الكثير من الاهتمام من دول العالم لما تتمتع به من امكانيات هائلة من الثروات الطبيعية المتمثلة في الاحتياطي الكبير من البترول والغاز الطبيعي في بحر قزوين إذ تقول الدراسات إن ثلث احتياطى العالم من الغاز الطبيعى في دول بحر قزوين التي تشكل فيه الدول المعنية بالدراسة جزءاً كبيراً منه وخاصة كازاخستان .

(ويحوي بحر قزوين أربعة أحواض ترسيبية رئيسية للهيدروكربون تحوي معظمها

خزانات للنفط والغاز الطبيعي، ولا تزال غالبية هذه الأحواض (وخاصة البعيدة منها عن خط الساحل وفي قاع البحر دون استغلال لأسباب تقنية وخلافات بين الدول المشاطئة للبحر، وقد أعطت هيئة إدارة معلومات الطاقة الأمريكية عام ٢٠٠٢ م تقديرات دقيقة عن الاحتياطي المؤكد تتراوح بين (١٨ و ٣٤) بليون برميل، بينما تصل تقديراتها للاحتياطي المحتمل إلى (٢٥٠٢٧٠) بليون برميل، وتمثل هذه التقديرات ثلث احتياطي بترول الشرق الأوسط، وتتفوق بنحو الضعف على الاحتياطي المؤكد للولايات المتحدة البالغ (٢٢) بليون برميل. وفيما يخص الغاز الطبيعي فيبلغ الاحتياطي المؤكد نحو (١٧٠) تريليون قدم مكعب، ومن الاحتياطي المحتمل بين (٢٤٣ و٢٤٨) تريليون قدم مكعب، ولدى تركمنستان احتياطي مقداره (١٠٠) تريليون قدم مكعب ولدى كازاخستان (٦٥) تريليون قدم مكعب، وهو ما يجعلها ضمن قائمة أكبر عشرين دولة في الاحتياطي المؤكد للغاز في العالم، أما أوزبكستان القريبة (وإن كانت غير مشاطئة للبحر) فلديها (٦٦) تريليون من الاحتياطي المؤكد للغاز الطبيعي.)[١]

المؤسسات الخليجية في المنطقة :

١ . إذا أردنا أن نقوم بعملية إحصاء للمؤسسات الخليجية التي عملت في المنطقة فهي:

١ – مؤسسة الوقف الإسلامي:

وهى مؤسسة تأسست في عام ١٩٩٥ م وتوجد في دول كازاخستان و قرقستان وطاجكستان، وتعتبر من المؤسسات الرائدة في مجال التعليم والدعوة ، ولها بروز إغاثي في قرقستان إذ تنفذ قافلة طبية تشمل العديد من التخصصات ويستفيد منها سنويا ٣٥٠٠ شخص ، كما قامت ببناء العديد من المساجد ولها معهد علمي متكامل لتدريس العلوم الشرعية ، ولها اتفاقيات مع بعض الجامعات لتطوير اللغة العربية .

(١) انظر موقع الإسلام اليوم - صلاح الصيفي - www. islamtody.net

٢- جمعية الهلال الأحمر الإماراتي :

وهذه الجمعية توجد فقط في كازاخستان منذ عام ١٩٩٦ م وتعتبر من الجمعيات الرائدة وذات نشاط كبير في مجال بناء المساجد ورعاية الأيتام ولها العديد من الإمكانيات الكبيرة ، وتمتاز بقبول حكومي لما تقدمه من دعم لكثير من القطاعات الرسمية في الدولة ، إذ أنها شيدت أكثر من ٥٥ مسجداً، ويستفيد من مشاريعها الإغاثية سنويا ٢٠،٠٠٠ فرد ، كما أنها تكفل ٥٠٠٠ يتيم ، ولها العديد من دور الأيتام .

٣- لجنة مسلمى آسيا:

وهذه اللجنة تعمل في كازاخستان وقرقستان وطاجكستان، وتقوم ببناء المساجد ورعاية بعض الأسر الفقيرة وقامت ببناء أكثر من ٤٤ مسجد وحفر ٤٠٠ بئر للشرب كما أن لها عدداً لا بأس به من الأيتام.

٤- الندوة العالمية للشباب الإسلامى:

وتوجد في كازاخستان وقرقستان ، ويمتاز نشاطها بالاهتمام برعاية الكليات العلمية في وتشرف على احدى كليات اللغة العربية في احدى الجامعات .

٥- جمعية الإصلاح الاجتماعى :

وهذه الجمعية توجد في قرقستان ولها نشاط في رعاية الجامعة العربية الكويتية كما أن لها دار للايتام كما تقوم ببناء المساجد .

٦- هيئة الأعمال الخيرية:

وهي تعمل في قرقستان، ولها العديد من الأنشطة مثل بناء المساجد.

تاثير هذه المؤسسات :

مـن ناحيـة تأثير هذه المؤسسـات في المنطقـة فيلاحظ أنهـا أحدثت نقلة نوعيـة في العمل الخيرى في المنطقة وأسـهمت إسـهاماً فعالاً في تخريج الكوادر المحلية وربطها بالعالم الاسـلامى من خلال حركة الابتعاث العلمي الذي تقوم به، لا سيما مؤسسة الوقف الإسلامي التي لعبت دوراً كبيراً في تدريس بعض طلاب العلم الدينى في دول الخليج العربي وتحديدا المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية .

أيضـاً لها تأثير كبير جداً في دعـم الشرائح الفقيرة والأسر المحتاجة من خلال رعاية الايتام وهنا يظهر بجلاء دور جمعية الهلال الأحمر في كازاخسـتان إذ أنها تعتبر من الجمعيات الرائدة في العمل الخيرى .

أمـا من ناحية العمل الإغاثي فيلاحظ أن هذه المؤسسـات يقـل فيها الجانب الإغاثى لعدة عوامل نذكرها في ثنايا هذا البحث لاحقاً.

تقييم عمل المؤسسات العاملة :

يمكننا أن نقيم عمل هذه المؤسسات من خلال الآتى:

- **محور تعدد الأهداف والمجالات:**

في هـذا الجانب اختلفت المؤسسـات العاملـة في أهدافها فبعضها يركز عـلى إبراز الجانب الإغاثـي والآخر يعمل على التوجيه للمجتمعات من خـلال التربية والدعوة والتعليم وأخرى تعمل على نشر اللغة العربية، وإبراز قيمة الشـعائر الإسـلامية مثل بناء المساجد، كما يظهر أيضا إظهار روح التضامن والتكافل كهدف من الأهداف .

- محور السمات العامة :

بنظرة عامة يمكننا أن نقول: إن هنالك سمات مشتركة بين الكثير من المؤسسات وهنالك تداخل بين المؤسسات في التخصصات، وهذا جانب محمود في العمل الخيرى وله الكثير من الفوائد إذ أنه شجع على روح التنافس من أجل كسب ثقة الدولة والمجتمع .

أبرز سمات الضعف في المؤسسات العاملة في العمل الخيرى بالمنطقة :

من ملاحظتنا أنه توجد إيجابيات كثيرة لهذه المؤسسات، وبما أن غرض الدراسة استشراف للمستقبل سنركز على جوانب الخلل سعياً وراء الإصلاح المنشود ، وهذه الصفات الواردة لا تقلل بأى حال من الأحوال من جهود هذه المؤسسات وإنما هو توجيه وإرشاد ، وذلك بغرض وضع الحلول والمعالجات السليمة .

عدم التجديد في البرامج والمشروعات :

يلاحظ أن معظم المؤسسات الخليجية التي عملت في هذه المنطقة ملتزمة ببرامج محددة ولعدة سنوات مما انعكس سلباً على التطوير، فالاكتفاء ببعض البرامج دون دراسة لمدى أهمية الاستمرار فيها، أو مدى حاجة المجتمع لها مما أدى إلى الجمود وعدم تحقيق مكاسب كبيرة .

١ . ضعف الرؤية المستقبلية :

وهذا نابع من عدم التجديد للبرامج والمشروعات فمثلا لا توجد خطط عشرية أو قصيرة أو طويلة الأجل لمعظم المؤسسات العاملة حاليا ، وهذه مسألة خطيرة إذ أن حاجة المستهدفين متجددة ومتطورة .

٢ . عدم مراعاة تطور الدول والمنطقة :

لقد تطورت دول منطقة آسيا الوسطى كثيرا ولم تعد هذه الدول هى التي تحررت من الاتحاد السوفيتى قديما وتغيرت الكثير من المفاهيم فيها ، ودخلت عوامل اقتصادية وعلمية وسياسية، وزاد تأثير العولمة فيها وتحولت الكثير من المفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيها ، لكن للأسف أن معظم هذه المؤسسات لم تدرك هذه المسألة ، فلا زالت تعالج الأمور بصورة أولية دون مراعاة هذا التطور .

٣. الاهتمام الضعيف بالجانب العلمى :

يظهر هذا جليا في عدم اهتمام المؤسسات بالمؤسسات التعليمية الموجودة في الدول المعنية بالدراسة ، ودائما يتم تجاهل مراكز التدريب والتأهيل ، وحتى إذا اهتمت بعض المؤسسات بمؤسسة علمية فسريعا ما تتركها كما هو واضح في رعاية بعض الجامعات العلمية ، كما حدث في كازاخستان لمؤسسة الوقف التي كانت ترعى الجامعة العربية الكزخية في إحدى المدن - مدينة شيمكنت - ثم تركتها بعد سنة فقط من الرعاية ، أيضا رعاية مؤسسة الوقف للجامعة الكويتية في طاجكستان عدة سنوات ثم تركها ، فهذا خلل لابد من معالجته مستقبلا .كما نشير إلى أنه أيضاً ترعى الندوة العالمية للشباب الاسلامى إحدى كليات اللغة العربية في كازاخستان رعاية جزئية، ولكن تاثيرها ضعيف جدا في المجتمع .

٤. غياب المؤسسية لدى المشاركين في مناطق العمل الخيرى .

غياب المؤسسية سببه الرئيس ضعف أو انعدام التاهيل العلمى لقادة المؤسسات الخيرية في هذه الدول ، وبالتالى أدى هذا إلى تذبذب عمل المؤسسات وضعف الإنتاج مقارنة بغيرها من المؤسسات الغربية العاملة هنا في آسيا الوسطى ، وغياب المؤسسية أدى إلى التركيز على جوانب محددة في العمل الخيرى وعدم التطرق للكثير من الأبواب .

٥. ضعف الكوادر الإدارية :

يلاحـظ عامـة أن معظم المسـؤولين عن قيـادة وإدارة هذه المؤسسـات ضعيفـون جدا في النواحـى الإداريـة العامـة ، وهذا الضعف ملمـوس وظاهر للبيـان ، حتى استيعاب الكوادر المحليـة يكـون بعدم رؤية واضحة وأسـس علمية للتوظيف مما انعكس سـلبا على العمل العام للعمـل الخيرى وأدى إلى تفاقم الكثير من المشـاكل مع المسـؤولين وأصحـاب القرار في الدول المعنية .

٦ . ظهور الفردية في العمل الخيرى :

وهذه سـمة سـلبية لدى معظم المؤسسـات وهـذا ناتج عن عـدم فاعلية الرقابـة الداخلية للإدارات التنفيذية العليا لهذه المؤسسات العاملة .

٧ . الضعف الواضح في البرامج الإغاثية :

وهـذه أكـبر السـمات إذ جاز لنا أن نسـميها لأن وجود هذه المؤسسـات واسـتدامة عملها مربـوط بحجم ما تنفقه على الجانب الإغاثـي ، ولكن ضعف هذا الجانب أدى إلى التضييق على هذه المؤسسات من قبل الحكومات وإذا استثنينا جمعية الهلال الأحمر الإماراتي في حجم الإنفاق لأنها المؤسسـة الوحيدة التـي تنفق على المشروعات الإغاثية والتنمويـة في هذه المنطقة وتحديدا دولة كازاخستان ، أما غيرها من المؤسسات فلا زالت نظرتها للعمل الإغاثي ضعيفة وغير فعاله، بل إن بعض المؤسسـات تحصر الجانب الإغاثي في مشـاريع الإفطارات الرمضانية والأضاحى وهذا للأسف لا يعد إغاثة بالمعنى الحقيقى إنما يعد إبراز لشعيرة من الشعائر الدينية .

٨ . ضعف البيانات المالية الواضحة :

ضعـف البيانـات المالية واضح جدا لهذه المؤسسـات وقد بحثنا عن إيجـاد موقع الكترونى واحـد نأخـذ منه البيانات والاحصـاءات فلم نجد ، بل كلها تتعمد عدم إبـراز البيانات المالية مما يشـكل عقبة تتطور أمام الباحثين والمختصـين ، فكيف نقدر الجهد المبذول وكيف نقف على حجم المهددات إذا لم تتوفر بيانات مالية متخصصة .

٩ . انعدام الأسس المالية المتعارف عليها في إعداد القوائم المالية الحديثة .

وهذه سـمة سلبية واضحة لهذه المؤسسات فمعظمها وليست جلها لا تهتم بالأسس المالية المتعارف عليها عالميا ، وتعتمد على مصداقية منسوبيها في إيصال التقارير المالية العادية ، وغالبا مـا تهتم هذه المؤسسـات بجوانب الـصرف والقبض في العمليات الماليـة، فقط لأنه يلبى حاجة المكتـب التنفيـذى، وهذا خطا فـادح فلابد من اصطحـاب المنظومة المالية كلهـا وتحديدا قوائم التقارير المالية الحديثة بما فيها قائمة التدفق المالى الحديثة ، لأنها تعطى إشارة واضحة لمدى عمل ونجـاح المؤسسـة . و انعدام الأسـس المالية يرجع سـببه فيـما أرى لعدم وجود كوادر محاسـبية متخصصة في المجال المحاسبى .

المقترحات والحلول لاستشراف أفضل لمستقبل العمل الخيرى في المنطقة :

بعد أن تحدثنا عن السمات البارزة للعمل الخيرى في آسيا الوسطى وأوضحنا مواطن الخلل ،كان لابد لنا أن نقف على الحلول والمعالجات حتى نجعل مستقبل العمل الخيرى في هذه المنطقة افضـل مما كان سـعيا للتطويـر وتحقيق العديد من الإنجازات على كافـة الأصعدة وهذا ما نأمل إليه من هذه الدراسة .

١ . تأهيل القائمين على العمل الخيرى تأهيلاً علمياً متوازناً.

إذا أردنـا أن نعمل لاسـتشراف أفضـل للعمل الخيرى في هذه المنطقة فيسـتلزم منا تأهيل القائمين على هذه الجمعيات المحلية تاهيلاً علميا وتعريفهم بالأسسس العلمية للإدارة الحديثة ، حتـى تكـون هنالـك نقلـة نوعية في العمل الخـيرى ، فالنجـاح لا يتحقق إلا بالنظـرة العلمية الشاملة .

٢ . ضرورة كتابة خطط قصيرة وطويلة الأجل لاستشراف أفضل للعمل الخيرى.

لابد من اسـتجلاب متخصصين في دراسـة الخطط لوضع خطط قصيرة الأجل ومتوسطة

الأجل وطويلة الأجل لتحديد مسارات العمل الخيرى والاستفادة من الامكانيات المتاحة ، وبدون خطط تكون النتائج عشوائية ومؤقته ، ولكن بدراسة الخطط ووضعها ومتابعة تتنفيذها هو الطريق السليم لاستشراف أفضل لمستقبل العمل الخيرى في المنطقة ، كما إن غياب هذه الخطط أدى إلى عدم دراسة احتياجات المجتمع وتقدير ضروراته إذ أن العمل الخيرى طابعة الرسمى تقديم المعونات والدعم للفئات المحتاجة بكافة الوسائل ، وبدون دراسه متعمقة وخطط لهذه المرتكزات لا يمكن الوصول إلى النتائج المرجوة.

٣. إيجاد برامج نوعية في العمل الخيرى.

إن تنوع العمل الخيرى ضرورة لاستمراره ولقد أثبتت التجارب أن الطريق الواحد في العمل يؤدى إلى نتائج سالبة مستقبلا ، لهذا لابد للمؤسسات الخليجية أن تعمل على إيجاد قنوات جديدة وفتح آفاق واسعة للعمل الخيرى بتعدد المجالات وتعدد طرق العمل واتخاذ افضل الوسائل للوصول إلى نتائج أفضل وأسرع .

٤. تنمية جانب المشروعات الإغاثية.

إن المشاريع الإغاثية هى التي تحمى المؤسسات من التضييق الذى يمارس عليها ، وهى التي تجلب الرضا لها من قبل الحكومات الرسمية والقطاعات الشعبية ، لهذا فإنه كلما كان حجم الإنفاق الإغاثي كبيرا كلما زاد من تأثير العمل الخيرى في المجتمعات والعكس ، والملاحظ ضعف هذا الجانب لدى المؤسسات الخليجية العاملة ، بالرغم من وجود مناطق متأثرة بالفقر واحتياجها إلى دعم كما في قرقستان وبعض ولايات كازاخستان وجمهورية طاجكستان ، كما أنه لابد من توسيع الجانب الطبى وزيادته نسبة لحاجة هذه الدول للامكانيات الطبية وتحديدا قرقستان وطاجكستان لأن نسبة الفقر عالية فيهما ، وهنا يمكننا الإشارة بوضوح إلى الجهد الكبير الذى تقوم به جمعية الهلال الأحمر الإماراتية في تغطية شرائح كبيرة جدا في كازاخستان والدعم المالى لكثير من الأنشطة الإغاثية ، ويمكننا القول إن نسبة ما ينفق على المشروعات

الإغاثية هى ١٥٪ تقريبا من ميزانية هذه المؤسسات وهذه نسبة ضعيفة لا تبشر بمستقبل أفضل للعمل الخيرى .

٥. ضرورة الاهتمام بالمؤسسات الحكومية وتعميق التعاون معها.

التنسيق مع الجهات الحكومية يفعل العمل الخيرى ويجد له غطاء رسمى ويساعد كثيرا في إيجاد الحلول للمجتمعات المستفيدة ، ويلاحظ أن المؤسسات العاملة تتفاوت في تعاونها في هذا الجانب فمنها من يرى ضرورة التعاون ومنها ما يقتصر على بعض المؤسسات .

٦. إيجاد كوادر مالية متخصصة للقيام بالإحصاءات والتحليل وإعداد الموازنات المالية

عدم وجود هذه الكوادر أدى إلى انعدام البيانات والأرقام التي تساعد الباحثين وبالتالى لابد من استحداث إدارات متخصصة للتحليل والإحصاء للجوانب التي تهتم بالعمل الخيرى واستخلاص النتائج وفق معايير علمية ودقيقة حتى تساعد مستقبلا في وضع احتياجات العمل الخيرى مستقبلا .

٧. ضرورة إيجاد متخصصين في علم الاجتماع لدراسة الحالات الجديدة والاستفادة منها

هذا الأمر منعدم تماما ، فإذا أردنا استشراف أفضل لمستقبل هذه المؤسسات لابد من إيجاد هؤلاء المتخصصين في دراسة علم الاجتماع وإذا لم تتوفر الإمكانيات لوجودهم ، يستلزم أن تكون هنالك حركة اجتماعية من قبل بعض المتخصصين بزيارة هذه الدول ووضع بعض الاستبانات العلمية ودراسة الحالات بواقعية للخروج بنتائج أفضل لمستقبل العمل الخيرى في المنطقة مما يعود بالنفع إلى المؤسسات والمجتمعات محل الدراسة .

٨. زيادة حركة الابتعاث الخارجي للطلاب من أجل الكسب المعرفي.

في هذا الجانب توجد نجاحات متميزة لبعض المؤسسات مثل مؤسسة الوقف في ابتعاث الطلاب لدراسة العلوم الشرعية ، لكن ليست بالقدر المناسب وهذا البرنامج محدود والآليات المتبعة في تنفيذه تتطلب دراسه أعمق ومراجعة من قبل المختصين ، لأن من الملاحظ أن تأثير هؤلاء المبتعثين لا يكون بالحجم الكبير فلا بد من دراسه كيفية تفعيل الدارسين ووضع الطرق للاستفادة منهم مستقبلا ككوادر علمية تساعد في حركة المجتمع والدولة .

٩. التعاون بين الجمعيات والمؤسسات العاملة في المنطقة .

وهذا ما يطلق عليه توطين العمل الخيرى ، لكننى أرى أن هذه المسألة وبحكم معايشتى للواقع تحتاج لرؤية ودراسة أعمق مما عليه الآن ، إذ أن التعامل مع المؤسسات المحلية له فوائد وسلبيات ولكن عموما يمكن التعاون مع الجمعيات المحلية وفق ضوابط وأسس جديدة للعمل الخيرى ووضع آليات للمراقبة وتفعيل للعمل الخيرى لأن أكثر الجمعيات المحلية في هذه البلدان تفتقد للكثير من الرؤيا للعمل الخيرى بمفهومه الشامل للكثير من الأسباب من أهمها القصور العلمى لكوادرها .

١٠. إيجاد بدائل للمؤسسات الخيرية في حالة الإغلاق أو منع العمل.

كما هو معلوم أن العمل الخيرى مستهدف من الكثير من الجهات ، فكان لزاماً أن نحاول إيجاد حلول أو بدائل في حالة حدوث تعطيل أو تجميد لبعض المؤسسات وفي هذا الأمر يمكن تأهيل المؤسسات والجمعيات المحلية والمعاهد العلمية ومراكز الدراسات العلمية لتكون بدائل شرعية وقنوات للعمل مستقبلاً.

الخاتمة والتوصيات

ختاماً أقول: إن هذا البحث هو مجرد محاولة منا لوضع بعض الأسس وتسليط الضوء على منطقة حساسة من عالمنا الإسلامى تتميز بأهمية كبيرة جداً، وتوجد بها العديد من المؤسسات العربية الخليجية وإن كان من وصايا فإننا نوصي بزيادة عدد المؤسسات، فواجبنا أن نسعى لتعميق أوسع لمفهوم الإسلام والعمل الخيرى، وهذا لا يكون إلا بوجود أهل الاسلام في هذه المنطقة بزيادة عدد الجمعيات وزيادة مخصصات الدعم المالى لها في كافة الأنشطة حتى نحقق الأهداف المرجوة.

والله أسأل أن يوفق الجميع إلى ما يحبه ويرضاه.

* * *